بين عرش ونعش

نزل ادوارد السابع ملك انكلترا وامبراطور الهند من العرش الى النعش ، وادرج في الاكفان ، بعد ما جرَّ ذيولَ الارجوان ، وغيّب في ظلمة القبر بعد ما طلع في صدر الايوان • وخلفه ولده وولي عهدهِ جورج الخامس في حكم الملايين من الناس ، بعد ان طاف الممالك والامصار مثل ابيه ، ودرس اميال الشعوب ليعرف كيف تُساس • واذا كان حكم مدام دي جنليس الكاتبة الفرنسوية القائلة « ان الامراء هم اسوأ تربية من كل الناس بمعنى ان تربيتهم تبعدهم عن معرفة حقائق هذه الحياة » ـ اذا كان حكمها صحيحاً في اكثر الامراء فهو لا يصح في ادوار ملك الامس ولا في جورج ملك اليوم ، فلقد عرف كلاهما حقائق هذه الدنيا قبل ان قبض على زمام الاحكام ••• وقد افاضت الصحف في الكلام عن السلف والخلف ، وعرف القراء كل ما تهمُّ معرفته عن العاهل الراحل والملك الجديد • فاكتفينا بتلخيص فصل من كتاب ألفه ادوار السابع وتُرجم الى الفرنسوية ، عنوانه « تأملات في الموت والابدية » واليك ما قاله الملك ـ الكاتب المتوفى عن الموت :

الخوف من الموت

لو أُتيح لنا نحن البشر ان نرى منذ مهدنا كل الحوادث وصنوف العذاب التي تنتظرنا ، لكان خوفنا من الحياة أشد من خوفنا من مغادرة الحياة

كثيراً ما شبهوا هذه الحياة برحلة نبدأها غير مخيَّرين ، وننهيها مضطرين ، فنركض الى الامام بسرعة وقلق . ونسير في فجر الصباح المكفهر خارجين من ظلام الليل الى ظلام آخر . وهذا عمل الله من البداية الى النهاية

ما هو الموت ؟ هو الانطفاء كالنور ، هو نسيان المرء نفسه وكل حوادث ماضيه كما ينسى الاشباح التي يراها في حلم خاطف ، هو إبرام علائق جديدة بالعالم الرباني ، هو الدخول في منطقة أعلى ، هو خطوة نحو ارتقاء الخليقة لا يقدر عليها الانسان

فلماذا نخاف من الموت وما هو الا انتقال الى حالة أحسن . لماذا ، عند ما نفكر بانحلالنا ، نزيد حباً بالحياة أية كانت ؟

ليس خوفنا من الموت بل من تصورنا للموت . فابعد هذه التصورات عن فكرك ، وانظر الى الموت كما هو ، يقلّ هول الموت في عينيك

لا قيمة للحياة الا اذا استعملناها لاصلاح نفوسنا ، وتزيين عقولنا بأشرف الصفات ، ونشر السعادة حوالينا . وعند ما نعجز عن ذلك لتقدمنا في العمر فنفقد كل أمل بالتقدم في هذه الطريق ، تكون الحياة قد فقدت قيمتها الكبرى

تستولي عليَّ قشعريرة باردة عند التفكير في الموت وكأن كل عرق فيَّ يحاول مقاتلة الانحلال والانفصال . ومع كل ذلك لا بد من الموت

لماذا جئت هذا العالم ؟ ولماذا لا أرى الموت كما ارى الحياة ، وأنا قد مُنحت كليهما على غير ارادة مني !

ما عساني ان اكون بعد ما أُجرَّد من شكلي الانساني وأُقطع من البشرية ؟ ان هذا الريب أو الشك في ما سوف ينتظرنا هو الذي يملأنا رعباً . والظلام الذي يغشي المستقبل هو الذي يفرحنا بالنور الآن . تقدّر ما في بدنا حق قدره فنخاف ان تتركه تلقاء شيء لا نعرفه

ولو كان الخالق قد مكننا في هذه الحياة من معرفة الحياة الاخرى ، لما عاد الموت حاجزاً ولكان من ينتظرون ساعتهم الاخيرة نفراً قليلاً

فهذا الرعب هو أشد رابطة تربطنا بهذه الحياة . فالجبان الذي تهوله المصائب لا يردعه عن التخلص من حياته الا ذاك الشك المخيف

لماذا أبكي ؟ ولماذا تنوحون على من فقدتم ؟ هل نحزن على الموتى لانهم تركوا من يحبون ، وغادروا حياة طالما تنعموا بها ؟ ما أقلّ نفع هذا الحزن وذاك البكاء . . . ! هل نبكي كل مساء أعزاءنا لانهم يرقدون ؟ هل نرثي أنفسنا ساعة النوم ؟ وأي فرق بين الموت والنوم ؟

نعم ان من ينام يبقى له امل باليقظة بقوة مجددة عند شروق الشمس . ولكن هذا الامل — ولو بعيد الاجل — يبقى ايضاً لمن يموت . وعند يقظته يشاهد احبابه واعزاءه ، وبعد قليل يشاهدكم انتم ايضاً . لان اطول حياة هي كلا شيء : سل الشيخ الهرم ابن السبعين فيقول لك : « مرت حياتي كسبعين دقيقة في الحلم » فعلامَ نبكي اذن ؟

وهـذا الريب نفسه لا يخيف الا بقدر ما تكون الحياة الاخرى بعيدة ، ويزول تماماً ساعة الدنو منها . ساعة الموت تظهر لنا الحياة قاتمة تافهة ، ويشرق علينا المستقبل تنيره اشعة الابدية . فالانسان عند موته يصفي حسابه مع العالم ويلقي بركته على احباب قلبه ، ثم يعرض عن كل شيء وينضم الى نفسه ليقطع الحد الفاصل بينه وبين الحياة السعيدة : لم يبقَ في الماضي ما يؤنسه ، واصبح في المستقبل كل ما يستميله

ادوارد السابع

في رياض الشعر

بين شعراء مصر والشام

نشرنا في العدد الماضي (ص ١٠٧) قصيدتين لشاعرين من سوريا جواباً على قصيدة عبد الحليم افندي المصري التي شكا فيها من كساد الشعر في مصر وسأل زملاءه في الشام عن حالتهم . (راجع قصيدته ص ٥٩) وننشر اليوم قصيدتين ثانيتين وردتا على المجلة من سوريا بهذا المعنى . وتسرُّنا هذه المراسلة الادبية بين كتاب القطرين فنحن انما انشأنا هذه المجلة لتكون رابطةً ادبية بين الاقطار العربية

١ — يا شعراءَ النيل

يا دهر من أغراكَ بي للحرامْ ... ما مهجتي مرمىً لكل السهامْ
ان كان ذنب العاشقين الهوى ... «يا دولة الحب عليكِ السلام»
قد كان لي قلبٌ بهِ صبوةٌ ... ومقلةٌ ترعى نجومَ الظلام
قد كان — والعهد قريب بنا ... مذ جزت بالعشرين عفت الغرام
أصبحت لا أشتاق وادي النقا ... ولا أُجاري نائحات الحمام
أمسيت لا أبكي بسقط اللوى ... ولا أناجي فيهِ بدر التمام
قلب يسام الحيف في قومه ... ما أرَّقتهُ شاغلات الهيام
لأنصف الدهر بأحكامه ... لو كان للدهر وفاءُ الذمام
ولارعوى عن غيهِ تائباً ... لو ينكأ الدهر قراعُ الملام

* * *

يا شعراء النيـل لا تجزعوا　　قـد صافحتكم شعراء الشآم
لكم بهـم في قومهم أسوة　　ما أغنياء الشام ريٌّ الأوام
لا يبصر الشاعر دينارهم　　عيناً ولا طيفاً له فـي المنـام
يدعوهم الفضـل فلا مسمع　　هم في القصور الساهرون النيام
ما في قصور اليوم من نخوة　　قد كانت النخوة بين الخيام ! !
لهفي على قوم كرام مضوا　　قد انصفوا بالفضل قوماً كرام
يكاد لو نادى بهـم آمل　　في الترب يحيي نخرات العظام
كلام أهـل الشعر في عهدهم　　جواهر واليوم أمسى كِلام
لا مصر ترضيهم ولا مصرنا　　ماأطيب السكنى «ببردَي لتام»
لا كنت لي يا موطني مسكناً　　ان كان فيك الحرُّ خُلقاً يُضام

***

«ان كان هذا الحظ لا ينجلي»　　ما أضيق العيش وأشقى المقـام

(لبنان)　　ف . نصار

٢ – حالتنا

عبدَ الحليم ! عليك الف سلام　　مني ومن شعراء برِّ الشـامِ
عبدَ الحليم ! لقد أثرتَ عزائماً　　في النفسِ قد سئمت من الإقدامِ
أبرزتَ من سحرِ القريضِ فرائداً　　طربتْ لهنَّ جوانبُ الأهرامِ
ناديتنا متسائلاً مستفهماً　　عن حالةِ الشعراءِ والأقلامِ

***

فعلامَ يا ابن النيلِ تندبُ حالةً أنتم بها من اسعدِ الآنامِ ؟ ؟
أتبيتُ في أرض النضارِ وتشتكي من غمرة البأساء والآلامِ ؟
أتبيتُ في ربع الامانِ وتختشي من نائبات الدهر والايام ؟

* * *

هلاَّ ركبتَ البحرَ نحو ربوعنا فترى لأهلِ العلم قلباً دامي
هلاَّ أتيتَ إلى الشآم فتلتقي بحرَ التعصُّبِ والغباوةِ طامي
عجّلْ تجد روحَ التحاسُدِ عابثاً بمبادئ الحكّام في الأحكامِ
فاذا الأديبُ أراد نشرَ معايبٍ طويتْ عن الأفكارِ والأفهامِ
يترصَّدون لهُ الوقيعةَ والأذى ويسدّدون عليهِ سهم ملامِ
وترى الصحافيَّ الجريءَ مهدّدًا بالضيمِ من حكّامهِ الظلاّمِ
يبغي التقدُّمَ للبلادِ فينثني عن عزمهِ لمفاسدِ الأقوامِ
تلق يراعَ الحرِّ معتقلاً فلا يحيا بغير المدحِ والإكرامِ
إن خطَّ آيات الحقائقِ مرَّةً قامتْ عليهِ قيامة الحكّامِ
فكأنهُ طيرُ الحمامِ إذا شدا يلقى من القنّاصِ كأسَ حِمامِ ! !

* * *

فإليكَ ـ يا عبدَ الحليم ـ مثالنا صوَّرتهُ ليلاً ودمعي هامي
فلئن تكنْ مصرُ تضيقُ بكمْ على رُحْبِ الديارفكيف أرضُ الشامِ ؟ ؟

(بيروت) ملحم ابرهيم دموس